الأمراء الحرفوشيون

حكموا بعلبك وأنجبوا نوابغ

٣

العلماء منهم وبعض آثارهم

نبغ من هذه الأسرة علماء وشعراء ومؤلفون جمعت من تراجمهم ما استطعت في كتابي (تاريخ سورية المجهولة) واليك الآن لمّاً منها :

الأمير موسى الحرفوش

ذكره النجم الغزي الدمشقي في ذيله المسمى (لطف السمر) على تاريخه (الكواكب السائرة في اعيان المائة العاشرة) وهما من مخطوطات دار الكتب العامة في دمشق المعروفة بالظاهرية فقال فيه ما ملخصه منه ومن غيره من المخطوطات والتعاليق :

هذا الأمير موسى بن الأمير علي بن موسى المعروف بابن الحرفوش ولي امارة بعلبك بعد قتل ابيه ، وكان المترجم اقرب اهله الى التشيع ، والحرفوشيون من اهل المتاولة في بعلبك ، وكان بطلاً شجاعاً جواداً مثل اسلافه وله وقائع في تاريخ الحرفوشيين وسيرتهم ذكره صاحب (أمل الآمل في علماء جبل عامل) وهو الشيخ محمد الحر العاملي وفيه فخر :

كأن راس جيوش الضدّ ليس له ... علمٌ بأن بلادي موطن الأسد
ومن مهابة سيفي في القلوب غدت ... امّ العدىّ لغير الموت لم تلد
فليرقبوا صدمة مني معوّدة ... أن لا تقرّ لها الأعداء في البلد
ألست نجل (عليّ) وهو من عرفوا ... منه المخافة في الأحشاء والكبد
وانني أنا موسى منه قد ورثت ... كفي سيوفاً تذيب الأرض في الجلد

وقد راسل ومدح الشيخ محمد بن الحسن بن زين الدين والد الشيخ علي صاحب الدر المنثور وغيره . وتوفي هذا الأمير سنة ١٠٧١هـ (١٦٦٠م) بدمشق ودفن في مقبرة الفراديس بالقبة المعروفة بقبة (بني الحرفوش)

الأمير محمد بن علي

هو الأمير محمد بن علي بن أحمد الحرفوشي الحريري العاملي الدمشقي ترجمه المحبي والبديعي وابن معصوم وغيرهم فقالوا ما مجمله: نشأ في دمشق وعامل الذكور بصنع القماش (القنابيات) المتخذ من الحرير فلقب بالحريري وكان مولعاً بالعلم اديباً شاعراً لغوياً نحوياً يقصده كثير من الطلبة وهو في حانوته يشتغل فيقرأون عليه ولم يكن يشغله شاغل عن العلم مكثرا من الشعر) واخرج من دمشق لقصة لا موضع لها هنا فهرب الى حلب فالعجم فعظمه سلطانها شاه عباس واسند اليه رئاسة العلماء في بلاده. واشتهر بعلومه ومصنفاته

وفي المكتبة الظاهرية الآنفة الذكر بعضها اتصل بها على يد المجمع العلمي وبسعيه ، وتوفي في بلاد العجم سنة ١٠٥٩هـ (١٦٤٩م) . ومن شعره الحماسي ما قاله من قصيدة يذكر بها اسلافه مضمناً بيت المتنبي

الحمد لله احرزت الكمال وما ... ارجوه مما لدى اهل العلى حسن
طالت فوق السهى قدراً ومنزلة ... أصابت اهل المعالي دونه الوهن
وطبتُ اصلا وقدري قد زكا شرفاً ... وحزتُ مجدا به العرفان مقترن
ونلت فضلا به الاعداء قد شهدت ... وأعلنت وكفى من ينكر العلن
فالشمس ينكرها الخفاش ليس لها ... في ذاك منقصة تلفى ففتمتهن
أنا ابن قوم اذا ما جاء يسألها ... ذو فاقة وهبوا ما عندهم وغنوا
يعفون عمن أتى في حقهم سفهاً ... وهم على الجود والمعروف قد مرنوا
ويرغبون شراء المجد مكرمة ... منهم وجودا ولو ارواحهم وزنوا

لكن دهريَ لم ينهض بكلكله … عني ولا ارتفعت من صرفه المحن
كأنه قد أتاني أن يذيق بني … العلياء من بأسه الضراء اذ فطنوا
ولم يزل قدر اهل الجهل يرفعه … على ذوي الفضل طورا وهو موتمن
كم قلت في ظلمه والناس في سعة … والقلب في سجنه بالضيق مرتهن
(ما كلما يتمنى المرء يدركه … تجري الرياح بما لا تشتهي السفن)

ومن لطيف تفننه قوله

تروم ولاة الجور نصرا على العدى … وهيهات يلقى النصرَ غيرُ مصيب
وكيف يروم النصر من كان خلفه … سهام دعاء عن قسيِ قلوب

وقوله في صديق له غير وفي واجاد

اشكو الى الله لا اشكو الى احد … ما نابني من صديق يدعي الرشدا
صافيته من ضميري ود ذي ثقة … فاعتضت منه بمذق باللسان غدا
فعدت من بعده والدهر ذو عجب … لا اصطفي في الورى لي صاحباً أبدا

وقوله في غليون التبغ

يقولون في الغليون فرّطت رغبة … وليس بشيء تقتنيه وتختار
فقلت لهم ما ذاك إلا لكونه … مضاهيٌ لا تنفك في قلبه النار

وقوله في صديق محموم

انا مذ قيل لي بأنك تشكو … ضرّ حمّاك زاد بي التبريح
أنت روحي وكيف يبقى سليما … جسد لم تصح منه الروح

وله قصائد ومقاطيع بديعة بعضها في مدح الأمير محمد المنجكي المشهور وفي شيخه شرف الدين والشيخ عبد اللطيف المنقاري والنجم الحلفاوي الحلبي في دمشق وله مجاميع بديعة وديوان شعر رآه صاحب أمل الآمل في بلاده العاملية ورثاه عند موته

ولده الشيخ ابراهيم

وهو الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمد بن الأمير علي الحرفوشي العاملي الكركي نسبته الى كرك نوح في بلاد البقاع كان فاضلا صالحاً قرأ على ابيه وغيره وتوفي بطوس نحو سنة ١٠٨٠ هـ (١٦٧٠م)

محاضراتهم وازجالهم

ومن لطيف محاضراتهم أن الأمير عمر ابن الأمير اسماعيل ابن الأمير علي ابن الأمير موسى الحرفوشي كان مطرودا من بلاده وموجودا في بلاد كسروان (لبنان) في حمى آل الخازن سنة ١٠٨٣هـ (١٦٦٠م) فكتب بخطه حاشية على قطعة من (وفيات الأعيان) لابن خلكان موجودة اليوم في مكتبة دير الشير قرب سوق الغرب في مشارف بيروت[١] وهي من خزانة الشيخ ابي نوفل نادر الخازن ونسخت له سنة ١٠٧٩ هـ (١٦٦٨م) والكتابة تدل على أن الأمير الحرفوشي المومأ إليه ترك الملك لأخيه ولما كان حبرها كاد يمحى أصلحها بخطه القس يواكيم المطران البعلبكي سنة (١٧٦٠م) وهذا نصها :

« صار منافرة بين سيف الدولة ابن حمدان واخيه ناصر الدولة الاكبر سنا فقال ناصر الدولة هذه الأبيات :

تركت لك العليا وقد كنت اهلها　　وقلت لهم بيني وبين اخي فرق
وما ردّني عنها نكال وإنما　　تنحيت عن حقي فتمّ لك الحقّ
ولا بدّ لي من أن اكون مصليا　　اذا كنت ارضى أن يكون لك السبق »

ومن ازجال الحرافشة التي يتناقلها القوم في بلادهم قول الأمير جهجاه ابن الأمير مصطفى يشكو انسباءه وخاصته ويصف بعض مواقعه في قصيد طويل ارسله لاخيه الأمير سلطان قال منه

---

(١) راجع مجلة الآثار (٣ : ٤٢٦ و٤٢٧)

مقالات الخزاعي في بيوتٍ		ويتمن بها من كان واعي
ألا ياغاديا مني وسلم		وسلم لي سلام بلا انقطاع
وسلم لي على الديره واهلها		وباقية الامارا والتباع
تعتب لي عليهم بالملامة		وذكرهم بايام الشناع

ثم قال فيه يتهدد انسباءه

أنا لو كون قاصد لجفاكم		بخلي بجسامكم تجوي المشاعي
وشوفكم انا بعض المراجل		وخلي خيولكم تغدي شلاعي
ولولا الخوف من اخت الاماره		وحق البيت مع ابن الرفاعي
تاكانت الرمم فيكم طرايح		فرايس للطيوره والضباع
كفيت الشر وانطيهم قفايا		رحمه لهم من امانات الخزاعي

ومنه قوله لما عاد من بغداد لقتال العبد حاكم بعلبك

أنا ببغداد[1] ما عندي علايم		بهذا الأمر ما عنا اطلاع
وجاني كتاب خط من يديها		معلم بالورق روس السباع
فعرف عن جميع الصار فيكم		فطاش العقل من حين استماعي
نهرت العبد هات لي المنقية		عليها إعتلي رهط الخزاعي
وجبته مطوحاً من فوق حمرا		سريمة الجري لينة الطباع
ورمحي من جبل بغداد جبته		وساقي حربته سم الافاعي
غطست وجيت من بغداد اليكم		تاشيل الضيم عنكم في ذراعي
وعود الزان يرقص في يميني		وسيفي مجرده عاطول باعي
سألت العبد اين يكون حاكم		قالوا بالصفا والكاس داعي

---

(١) سار الى انسبائه عرب الخزاعل في بغداد لفتنة في قومه على الحكم وعاد لقتال العبد حاكم بعلبك وهذه القصيدة تروى على اوجه مختلفة

دعيته مرتمي غربي بنائك … بحد السيف قدأمته قناعي
وفسدته انا قتيل يوزعاً … على البيدا بغي اربع رباعي

فاجابه … [illegible]

قال الخزاعي الذي يانسباسر … ولي قلب اقوى من صفا الجلمود
ولي همة تسلو على كل منية … وشاعت لي مزايا بالكرم والجود
ولي حربة بالبدو ما عار مثلها … والدرع سابغ من عمل داوود
ولي سيف ماضي الشفرتين مجرب … سم الافاعي يرى في الحد مرصود
ولي حصان يحير الناس بوصفه … ابو عرقوب ما مثله بعصرنا موجود
يخشى المهلهل إن كان حاز مجدي … ولا عنتر بالمراجل عندنا معدود
ولا بو خنسا شبيب التبعي … هالخان بالزرقا وقرم عنود
ولو كان عصرنا مثل المضون سابق … نارس لفارس بالوغى ممدود
لكنت بعون الله اخلي مروجها … من كف ماجد وادعيهم بوسط لحود
أنا خوك ياجهجاه في كل ريبة … انا سود الزينات بيوم نكود
أنا الزير أنا عنتر أنا ولد مصلى … انا رهب الفرسان بضرب الحود
انا التمساح انا كمانا الراكب … انا فارس الهيجا انا الحسود

ثم عدد المواقع التي ابلى فيها . الى غير ذلك من الأقوال وهكذا ترى لهم اقوالا من الازجال والعتابا والمواليا والأناشيد الوطنية سمعت بعضها من افواه انسبائي وغيرهم يتناقلونها بالرواية والإنشاد وكلها في الفخر والحماسة والعتاب ووصف المواقع والوعيد والتهديد مما يدل على افتتانهم على الحكم وتخاذلهم في طلبه وتماديهم لأجله . وما آفة الشرق إلا الانقسام جعلنا الله ممن تتوحد كلمتنا لاعلاء الوطن وشأن بنيه إنه السميع المجيب

عيسى اسكندر المعلوف
عضو المجمع العلمي العربي

العرفان، شباط ١٩٢٤، من صفحة ٣٩٠ إلى صفحة ٣٩٥